مركز الخدمة للإستشارات البحثية

جامعة المنوفية
كلية الآداب

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

البراجماتية بين العقيدة والمعاصرة

د. بدرية محمد عبد الله الفوزان

قسم الثقافة الإسلامية
كلية التربية ، جامعة الملك سعود
المملكة العربية السعودية

مجلة علمية محكمة

Web Site: http//: www. menofia. edu. eg *** e. mail: menofia @ menofia. edu.eg

مطابع جامعة المنوفية

هيئة التحرير

أ.د / عبد المنعم شحاته محمود — رئيس مجلس الادارة

أ.د / حلمى أحمد شلبى — نائب رئيس مجلس الادارة

د / سمير السنباوى — المدير التنفيذى

مديرو الشعب:

أ.د / زينب عفيفى شاكر — د / محمد السيد عزوز

أ.د / ثريا عبد الجواد — د / إيملى محمد حمادة

أ.د / جبر محمد جبر — د / أحمد عبد الحليم دراز

د / عمرو عبد العلى علام — د / عاطف قاسم

د / محمد محمد النجار — د / رضوان السبكى

أعضاء من الخارج:

أ.د / عزت إلياس محمد

أ / أمينة التلاوى

جميع المراسلات الخاصة بالمجلة

ترسل بإسم

الأستاذ الدكتور / عبد المنعم شحاته محمود

رئيس مجلس إدارة مركز الخدمة للإستشارات البحثية واللغات

ورئيس التحرير

تصديـــــر

« بسم الله الرحمن الرحيم »

﴿ نحمدك اللهم ونستعينك ونستهديك ، ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائك ورسلك سيدنا محمد وبعد ﴾

فإن مجال الدراسات العربية والإسلامية يتسع ليشمل كل أثر علمى يخاطب الإنسان فى وجدانه وعقله ونشاطة المتعدد .

ويقدم المركز خدمته للباحثين فى هذه المجالات باللغة العربية واللغات الأخرى متبعاً فى ذلك مبدأ المنهج العلمى الذى ينهض به الأساتذة المتخصصون حيث يُحكِّمون فى الأعمال المقدمة للنشر بمجلة المركز ، ولا يجاز إلا العمل الملتزم بالتوثيق العلمى ، وأصالة المصدر ، وسلامة المقدمات ، وعدم التكلف فى الوصول إلى النتائج ، مع إعطاء الباحث حقه فى التعبير عن موقفه العلمى تجاه الموضوع المدروس ، ومسئولية الباحث عن هذا .

ومن ذلك نرى فى إصدرات مجلة المركز التنوع المفيد فى الموضوعات مع سلامة المعالجة مما يعين الباحثين وغيرهم على الإنتفاع بهذه الثمرات المحكَّمة .

كما نرى هذا التلاقى بين الباحثين من داخل مصر وخارجها .

« ونسأل الله التوفيق والنفع بها »

البراجماتية بين العقيدة والمعاصرة

د. بدرية محمد عبد الله الفوزان
قسم الثقافة الإسلامية ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود

دعم هذا المشروع البحثي من قبل مركز بحوث أقسام الدراسات الجامعية للبنات في عليشة عمادة البحث العلمي، جامعة الملك سعود

إن الفكر الفلسفي الأمريكي عبارة عن خامات متعددة مستوردة من مختلف أصقاع العالم، حمل بذورها أناس رحلوا عن بلدانهم باحثين عن الثروة والحرية ، ويمثل هؤلاء الناس شريحة منتقاة من المتعلمين والمغامرين والرأسماليين .[١]

حَمل هؤلاء أفكارً تبشيرية ، وتأملات دينية ، ونبوءات توراتية ، وفنوناً جميلة وفلسفات متنوعة، وكل هذه وغيرها قد لعبت أدواراً في تشكيل الفكر الأمريكي [٢] وأخذت الأجيال المتأخرة عن المهاجرين الرواد الجُرأة والإقدام والاعتماد على النفس ، وحب المغامرة ، والتحرر من التقاليد ، وتوظيف العقل في تطويع الطبيعة ، واعتبار التقدم المنجز والنجاح المادي الملموس دليلا واضحاً على صحة السبل ، والوسائل التي يتبعونها وهذه السمة تُمثل جوهر الفلسفة البراجماتية.[٣]

إذاً : البراجماتية فلسفة عملية انبثقت من مادية القرن العشرين ، أمريكية النشأة ، رأسمالية الاتجاه ، وتجلت في عدد من الجوانب :

-كراهية البحث النظري العقيم .
-لا تركز على مصدر الأشياء وكهنها .
-تهتم بالنتائج للأعمال وعواقبها .

للإنسان الحق في أن يجعل أفكاره وسائل الوصول لغاياته ، والسير نحو الكمال ، بل حتى ذريعة لبقائه في التجربة الإنسانية فقط ، وهنا تمكن خطورة المذهب الأولى .

-حصر الحقيقة في التجربة الإنسانية فقط ، وهنا تكمن الخطورة الثانية .
-آمنت بنسبية القيم وعدم إطلاقها ، واعتبرت الخبرة مصدر هذه القيم ، وركزت على جانب النفع المادي للقيم دون الجانب الروحي ، وهنا تكمن الخطورة الثالثة .

ومن هنا : فالبراجماتية تعد منهجاً في التفكير أكثر منها نظرية عامة ، تتكون من أفكار ومواقف تجاه موضوعات وقضايا فلسفية كالإنسان والقيم والمعرفة وسوف تكون الصورة واضحة عند مؤسسي البراجماتية الرئيسيين، وهم : بيرس ، ووليام جيمس ، وديوي .

وفي هذا البحث سأتناول (البرجماتية بين العقيدة والمعاصرة) الخلل العقدي في هذا المنهج ، وأثره على واقعنا المعاصر وذلك في مقدمة وفصلين :

المقدمة

أولاً : مفهوم المبراجماتية

قاموس ويبستر العالمي عرّف البرجماتية بأنها " تيار فلسفي أنشأه تشارلز بيرس ووليم جيمس، وجون ديوي ، يدعو إلى أن حقيقة كل المفاهيم لا تثبت إلا بالتجربة العملية " . [٤]

---

(1) الولايات المتحدة أرضاً وشعباً ودولة ، الشرقاوي ، محمد عبدالمنعم ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ص ٢٠ .
(2) تاريخ الفلسفة الأمريكية ،شنايدر هربرت (١٩٦٤). ترجمة : محمد فتحي الشنيطي ، القاهرة مصر ص ١٥ .
(3) الولايات المتحدة ، الشرقاوي ، ص ٢١
(4) المعجم الفلسفي ، عبدالمنعم حنفي ، الدار الشرقية ، ص ٣٤ .

جاء في المعجم الفلسفي بالفرنسية (*Pragmatisme*) وبالإنجليزية (*Pragmatisme*) معناه العمل ، وهي مذهب فلسفي (*Pragma*) ، والبرجماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني " براغما " ويقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح ، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أي الفكرة التي تحققها التجربة ،فكل ما يتحقق بالفعل فهو الحق ، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية .[١]

أول من أدخل اللفظ في الفلسفة هو " تشارلز بيرس " سنة ١٨٧٨م في مقال بعنوان (كيف نجعل أفكارنا واضحة) نُشِرَ في مجلة " *Monthly Popular Science* " ذكر فيه " أننا لكي ننشئ معنى فكرة كل ما نحتاج إليه فقط هو تحديد أي أسلوب يصلح لإنتاجه ، وإن المسلك الوحيد لنا مغزاها الوحيد الذي يُعوّل عليه ، والحقيقة الملموسة البينية التي هي المنشأ الأصلي لكل تفرقاتنا بين الأفكار مهما تكن خفية مستورة ، هي أنه لا توجد فكرة واحدة تبلغ حداً من الدقة والرقة بحيث لا تتألف من شئ سوى فرق ممكن في المحاولة العملية.[٢]

هذا مبدأ بيرس للبراجماتية : لا حقيقة مطلقة ، بل النتائج النفعية هي المعيار بغض النظر عن الوسائل . وبيرس يقول : إن معنى وأهمية أي فكرة ما ، طريقة السلوك المتولد عنها ، وهو ما يعني أن الموضوع هو محتوى الخبرة ومضمونها ، وأن قيمة الفكرة تكمن في نتائجها العملية ، التي هي الإحساسات المباشرة فقط[٣]، فيكون مبدأ البراجماتية يمكن في النظر إلى النتائج العملية التي نأمل أن نحصل عليها من وراء أفكارنا ، ويقصد أن الفكرة لا تتحقق إلا عندما تؤدي إلى نتيجة فعّالة ، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة ، أو الفكرة التي تخرج منتصرة من امتحان التجربة. [٤]

<u>ولهذا عرفت البراجماتية اصطلاحاً</u> : " مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملاً ، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة ، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة[٥]" البرجماتي بوجه عام وصف لكل من يهدف إلى النجاح ، أو إلى منفعة خاصة . كما أن الفلسفة البرجماتية منذ التأسيس ، برزت فيها النزعة الفردية ، فالميتافيزيقا عندهم تعني " كل ما هو مستقل عن خبرة الإنسان " وهنا يجمعون في سلة واحدة بين عالم الغيب ، وبين العالم الموضوعي المادي ، لأنه أيضاً مستقل عن خبرة الإنسان ، أو له وجود مستقل ، ومن ثمَّ يقوم فقط على عالم الشهادة ، بمعنى العالم المحصور داخل نطاق الخبرة الذاتية . وليس كل عالم الشهادة ، بل ما كان له ثمرة ونتيجة فعالة ، خاضعة للتجربة الفردية فقط ، فالبرجماتية منذ قيامها وتأسيسها فردية النزعة .

مؤسسي البرجماتية :

١) **<u>تشارلز ساندرس بيرس " *Charles Sanders Peirce* "</u>** (١٨٣٩م- ١٩١٤م) هو مؤسس الفلسفة البرجماتية المعاصرة ، وأول من أطلق مسمى البرجماتية على هذه الفلسفة، ولد في الولايات المتحدة الأمريكية : في كمبرج بولاية ماسا شوستش في ١٨٣٩م.[٦]

فلسفة بيرس : تعتمد فلسفته على محورين هما : المعنى والاعتقاد .

أ- الاعتقاد قضية تتمثل في الإجابة عن السؤال التالي : إن كان لدّي اعتقاد معين بأن هناك في العالم الخارجي شيئاً ما ذا صفة معينة فما التحليل الصحيح لهذا الاعتقاد.[٧]

---

(1)البراجماتية ، وليام جيمس ، ترجمة محمد علي العريان ، تركي نجيب محمود ، ص ٦٣ .
(2)المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ص ٢٠٣
(3)أنظر العقل الأميريكي ، شوقي جلال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٢٠
(4)أنظر الفلسفة البرجماتية ، علي عبدالهادي الهرج ، ص ١٦ .
(5)المعجم الفلسفي ، مجمع اللغات العربية القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع ، ص ٣٢ .
(6)مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة ، محمد مهران رشوان القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ص ٤١ .
(7)أنظر : المرجع السابق ، ص٢٢

ب- المعنى عند بيرس "هي مجموعة ما يمكن للإنسان أن يؤديه من أعمال" مسترشداً بالكلمة أو العبارة، وما ليس يهدي إلى عمل معين فلا معنى له ، فالأفكار إما أن تكون خططاً للسلوك العلمي ، أو لا تكون شيئاً على الإطلاق ، فإذا وجدت فكرة _ مهما يكن أمرها _ لا تدل على أنواع السلوك الذي تسلكه في عالم الواقع ، فاعلم أنها فكرة باطلة، أو قل عنها ليست شيئاً ، ولا يستثنى بيرس من هذه القاعدة أن نوع من الأفكار، سواء كانت هذه الأفكار تأملية عقلية ، أو غيبية ميتافيزيقية ، فيرى أن ما أشغل الفلاسفة من مسائل الوجود المتعلقة بالكون والإنسان والروح هل هي خالدة أم فانية ، والعقل والمادة أهما عنصران مختلفان أم أن أحدهما يمكن ردة للآخر.[١]

جميع هذه الأسئلة عند بيرس ليست مشكلات حقيقية ، بل هي مجرد كلمات لا معنى لها فهي لا تحدد سلوك ، ولا تدخل في حدود الخبرة للإنسان . والاعتقاد عند بيرس كذلك يخضع صحته للتجربة في الواقع ، فإن أحدث الاعتقاد تغييراً في سلوك الفرد وممارسته: يكون الاعتقاد صحيح ، وإن كان التغيير الذي أحدثه هذا الاعتقاد في السلوك يخالف التجربة في الواقع غير صحيح .

٢) **وليم جيمس " *W.james* " (١٨٤٢م _ ١٩١٤م) .** ولد جيمس في الحادي عشر من عام ١٨٤٢م بمدينة نيويورك الأمريكية في عائلة دينية ، معروفة بتدينها وكان أكبر خمسة من الإخوة ، وكان الأب متديناً ولقد أثرت هذه التنشئة الدينية في فلسفة جيمس فيما بعد ، ومن أبرز ملامح حياته كثرة السفر والترحال بين دول أوربا ، فزار لندن ، وباريس وبرلين، حتى أنه يقال : لم يبق في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ستة أعوام متتالية، وقد أتاحت له الأسفار المختلفة بين بلدان العالم إتقان عدد من اللغات مثل: الفرنسية واللاتينية والألمانية.[٢]

فلسفة وليم جيمس

" *The Meaning of Truth* " نظرية "معنى الحقيقة "هي محور فلسفة جيمس للبراجماتيةط، ويتفق جيمس مع بيرس على أن السلوك العلمي هو المعيار الوحيد لقياس الحقيقة ، إلا أن جيمس اشترط أن يكون هذا السلوك نافعاً ، واعتبر أن معيار الحقيقة هو السلوك العملي النافع الذي يترتب عليه ، فالفكرة صحيحة والقضية صادقة ، إذا أدت إلى نتائج عملية نافعة تفيد الفرد في حياته.[٣]

فيكون الصدق والمنفعة ذات مدلول واحد " أُسمى الفكرة صادقة حين أبدأ بتحقيقها تحقيقاً تجريبياً فإذا ما انتهيت من التحقيق ، وتأكدت من سلامة الفكرة سميتها نافعة ، إن الصدق أعلى مراحل التحقيق والفائدة أعلى مراحل الصدق".[٤]

حتى الصدق جيمس أخضعه للتجربة ، لا صحيح مطلق وقد قال " إننا نحن الذين نصنع الصدق كما نصنع الصحة والثروة والقوة في ميدان الحياة ".[٥]

حتى وصل به الأمر في نظريته الحقيقة إلى رفض وجود الله تعالى ، فتكون فكرة الإله نابعة من ذات الإنسان ، ومتفوقة عليه وعلى تجربته معها ، فإن وجدها مفيدة قبلــها وإلا ردها يقول جيمس : " إذا كان فرض الله يعمل إكفــاء ورضاء في أوسع معاني الكلمة ، فهو فرض صحيح" .[٦]

---

(1)الفلسفة الفكر والحرية ، رواية عبدالمنعم عباس ، دار المعرفة العلمية ، القاهرة ص ٣٢٣_ ٣٢٥ .
(2) انظر وليم جيمس ، محمد فتحي الشنيطي . مكتب القاهرة الحديثة . القاهرة . ص ٩_ ٢١
(3) البراجماتية ، وليم جيمس ، ص ٧٤ .
(4) وليم جيمس ، محمود فهمي زيدان ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ص ٧٥
(5)البراجماتية ، وليم جيمس ، ص ٣٤٧
(6)البراجماتية ، وليم جيمس ، ص ٣٢٥ .

<u>ومن هنا نخلص إلى</u> : إذا كانت الحقيقة هي محور فلسفة جيمس ؛ فإن التجربة هي مصدر وأساس المعرفة وتسمة بـ " التجربة الراديكالية " وقد قال : " إن فلسفتي هي ما أُسميها بالتجريبة الراديكالية التعددية التقديمة ، التي تمثل النظام ، على اعتبار كونه يكسب تدريجياً ودائماً في صيرورته " أي أن المعرفة والحقيقة هي عملية متجددة دائماً بالتعرف على ما حولنا .

٣) **<u>جون ديوى " *J.dewey* "</u> (١٨٥٩م ـ١٩٥٢م).** ولد جون ديوي بمدينة برلنجتون في ولاية فرمنت في ٢٠ اكتوبر في الولايات المتحدة.[١]
فلسفة جون ديوي تعتمد على الدارونية، وتسمى بالبرجماتية البيولوجية، أو الرؤية البيولوجية للبرجماتية وتقول : " أن الفكر إنما يهدف لمساعدة الكائن العضوي ليتوافق مع بيئته، فالتأقلم الناجح المؤدي إلى البقاء والنمو هو بمثابة المعيار على صدق الأفكار.[٢]

فلسفة ديوي :

وتقوم فلسفة ديوي على رفضه وجود حقائق ثابتة ، أعلى من الوقائع الجارية في الخبرة الإنسانية، والممتدة من المشاهدات والتجارب ، وظل حياته كلها يدافع عن هذه النزعة التجريبية ، ويطعن في وجود حقائق ثابتة خارج أنفسنا ، مهما تكن هذه الحقائق،[٣] ووصل به الأمر في هذا المفهوم أن يعتقد " أنه ليس هناك حقيقة قائمة بذاتها أبداً ، فينبغي أن تكون كل حقيقة هي خطوة إلى الحقيقة التي تليها ، في طريق متسلسل طويل يؤدي في النهاية إلى حل لمشكلة معينة، وهذا الحل الأخير نفسه يستحيل إلى أن يكون حقيقة نهائية وهكذا ". [٤]

وهذا يخالف حقيقة مسلم بها ، وهي أن هناك حقائق أزلية وخالدة لابد من التسليم بها ، فهي نظرية بحتة يصعب تطبيقها واقعياً ، وهي تخالف الفلسفة القديمة التي تبدأ بالتصورات ، وبقدر هذه التصورات تكون النتائج ، أما " براجماتية ديوي " فهي تدع الواقع [٥]يفرض على البشر معنى الحقيقة ، وليس هناك حق أو حقيقة ابتدائية تفرض نفسها على الواقع.

فلسفة جون ديوي تسمى أداتية ، فالمعرفة أداة للعمل ووسيلة للتجربة، [٦] فتكون الفكرة أداة للفعل لدية.[٧] كذلك القيم عند ديوي : هي فرض عملي يخضع للتجربة العلمية ، فإن ثبت صدقة على الواقع كان بها ، وإلا وجب أن نسوغه صياغة أخرى ، بحيث يحقق للإنسان حياة يبتغيها ، وليست العبرة هنا بكل فرد على حدة ، بل بمجموع الأمة أو الإنسانية كلها تماماً ، كالفروض ، لا تتحقق لفرد وكفى، بل لا بد لها أن تتحقق لمجموعة العلماء المشتغلين بالفرع الذي جاءت تلك الفروض لتفسير ظواهر تقع في مجالة.[٨]

أخيراً نقول أن : الفلسفة " البراجماتية " هي : فلسفة تصور العصر العلمي الذي نعيش فيه اليوم بصفة عامة ، وتصور الحياة العملية التي يعيشها الأمريكيون في مدينتهم بصفة خاصة ، خطورتها تكمن في تأثر عالمنا ومجتمعاتنا الإسلامية بهذا الفكر النفعي البحث .

ونستطيع تلخيص مفهوم فلسفة البرجماتية بعدة أمور :

- **أولاً : ازدراء الفكر والنظر .**
- **ثانياً : إنكار الحقائق والقيم .**
- **ثالثاً : الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية .**

---

(1)أفكار وشخصية وليام جيمس ، بيري ، رالف بارتون ، ترجمة : محمد علي العريان ، بيروت : دار النهضة العربية ، ص ٣٩٧

(2) جون ديوي ، أحمد فؤاد الاهواني ، دار المعارف القاهرة ، ص ١٥

(3) مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة _ محمد مهران رضوان ، ص ٤٥.

(4) جون ديوي ، أحمد الأهواني ، ص ١٠٥ – ١٠٨

(5) من زاوية فلسفية ، زكي نجيب محمود ، ص ٢٢٢ .

(6) المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية المعاصرة في أوربا ، أبوشنكسي ، ص ١٦١ .

(7) فلسفة التقدم ، حسن الكحلاوي ، ص ٩٧ .

(8) جون ديوي ، أحمد الأهواني ، ص ١٠١ .

الفصل الأول. الجذور الفكرية للفلسفة البرجماتية

المبحث الأول . النظريات المؤثرة في البرجماتية

هناك نظريات لها دور كبير في صياغته الفكر البرجماتي وهي :

١-**النظرية الوضعية** : وهي نظرية تنكر وجود الحقائق ، أو قيم لم تستخدم التجربة ، وانتهت بها المطاف إلى أن تضحي بالقيم ، يقول الدكتور توفيق الطويل : إذا كانت الوضعية قد رفضت التسليم بالحقائق المطلقة ، والقضايا الميتافيزيقية ـ عالم الغيب ـ فإن الفلسفة العملية لا تتردد في قبولها واعتبارها صادقة ، متى كانت مفضية إلى نفع يتحقق في حياة الناس.[١] ويلتقي النفعيون عند القول : بأن المنفعة هي الخير الأقصى ، والألم هو الشر الأقصى ، ويترتب على هذا أن الأفعال الإنسانية لا تكون خيراً إلا متى حققت منفعة ، وإن حققت ضرر أو عاقت نفعاً كانت شراً ، فتقف الأخلاق والقيم والدين على المنفعة فهي المعيار لها ،[٢] ومن أبرز مؤسسيها " فرنسيس بيكـــون".[٣]

٢- **نظرية المنفعة :** هي نظرية أخلاقية اجتماعية لا دينية ، تجعل من نفع الفرد والمجتمع مقياساً للسلوك ، فتقيس صواب العمل بمقدار ما يحققه من منفعة وسعادة ، بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق أو مطابقته للدين.[٤]

٣-**نظرية ميكافيللي**[٥]: أول من دعا إلى استعباد الدين وعزله عن الحياة هو ميكافيللي ، وأصبحت بعد ذلك نظرية وتقوم على ثلاثة أسس متلازمة مستمدة من تصور ديني صَرْف وهي :

- الاعتقاد بأن الإنسان شرير بطبعه ، وإن رغبته في الخير مصطنعة يفتعلها لتحقيق غرض نفعي بحت، وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة ، فلا حرج عليه ولا لوم إذا انساق ورائها .
- الفصل التام بين السياسة وبين الدين والأخلاق ، ورسم لها دائرة خاصة بعيدة عن دائرة الدين والأخلاق .
- أن الغاية تبرر الوسيلة ، وهي القاعدة العملية التي وضعها بديلاً عن القواعد الدينية والأخلاقي[٦]

المبحث الثاني . مبادئ الفلسفة البرجماتية .

١-العالم بحسب البراجماتية عالم نسبي غير ثابت ، وفي حالة تغير وخلق مستمر ، وهو في هذه الحالة خاضع للتجربة والبحث العلمي، فترفض البرجماتية الحق المطلق الثابت ، أو الحقائق والبديهات واستبدلت بالنظر إلى الماضي، النظر إلى المستقبل ، فبدلاً من أن تهتم بتحليل الأشياء والمعرفة وردها إلى أصولها البسيطة، جعلت اهتمامها منصرفاً إلى ربط المعرفة بعالم التجربة ، من حيث النتائج التي تترتب على هذه الفكرة، أو تلك في عالم الواقع ، لا من حيث النشأة بل إن ديوي يقول " المعرفة ليست أولية ولا سابقة على التجربة بل إنها نابعة من التجربة نفسها" .[٧]

ويقول جيمس : إن البرجماتي يولي ظهره بكل عزم وتصميم _ إلى غير رجعه لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترمين ، إنه ينأى بعيداً عن

---

(1) انظر البرجماتية _ توفيق الطويل ص ٢٥

(2)نظرية تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ، دار المعارف ، ص ٤٤ .

(3) فرنسيس بيكون : فيلسوف إنجليزي عام ١٥٦١م _ ١٦٢٦م م انظر : قصته الفلسفة ، ول ذيورانت ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ص ١٣٦ ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف مكرم ، دار المعارف ، ص ٤٤

(4) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، ص ٣٥ .

(5) ميكافيلي : نيكولا ميكافيلي (١٤٦٩_١٥٢٧م) ولد في فلورنا في إيطاليا ، له أكثر من ٣٠ كتاب أشهرها (الأمير) بث فيها أفكاره وآراؤه . أنظر : ميكافلّي لوبس .... ترجمة صلاح الدين برمدا . ص٩-٩٩ ، تاريخ الفلسفة الغربية ، براتران ريل ، ص٩٠ .

(6) انظر العلمانية : د/ سفر الحوالي ص ٢٢٦

(7) البرجماتية : وليم جيمس ، محمد العريان ص ٧١

التجريد ، وعن عدم الكفاية ، وعن الحلول الكلامية ، وعن التحليلات القبلية ، وعن المبادئ الثابتة ، وعن ضروب المطلق ، والأصول المزعومة ، وهو يولي وجهة شطر الحقائق والوقائع ، شطر العمل والأداء والمزاولة وشطر القوة.[١]

ويزيد وليم جيمس تأكيد لمبدأ " النسبية " بقوله : البراجماتية هي " الاتجاه الذي يصرف النظر عن الأمور الأولى ، والمبادئ ، والمقولات ، والحتميات والضرورات المفروضة ، لكي يتجه ببصره نحو الأمور النهائية والآثار والثمرات والنتائج والوقائع " .[٢]

٢- الإنسان الفرد هو مصدر للقيم والمعرفة ، لأنها نظرية أخلاقية لا دينية ، فقد جعلت من نفع الفرد والمجتمع مقياساً للسلوك فتقيس صواب العمل بمقدار ما يحققه من منفعة وسعادة ، بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق أو مطابقته للدين.[٣]

٣- المنفعة هي المعيار الذي يحاكم إليه صدق الأفكار والقيم ، فأساس فلسفتها إغراق في النفعية المادية ويؤكد ذلك جيمس " صدق الفكرة يقاس بمدى ما تحققه من قيم فورية منصرفة"[٤] ويقصد إن هذه الأفكار أو النظريات ينبغي في نظره أن تصبح أدوات ، ووسائل يمكننا بواسطتها أن نتحرك إلى الأمام ، ونمضي قدماً في حياتنا العلمية ، إن فكرة ما أو نظرية ما تكون صحيحة بقدر ما تساهم بنجاح في حل مشكلة معينة ، بقدر ما تساعدنا في تجاوز هذه المشكلة والتقدم إلى الأمام.[٥]

فالبراجماتية تذهب للتجربة وتنبذ الجمود والتأمل ، أو الحكم على الأشياء دون سابق تجربة لها ، لأن التجربة لأي فكرة هي المعيار الذي من خلاله يتم الحكم على تلك الفكرة بالصدق أو الكذب ، وهي بهذا تتفق مع الفلسفة الوضعية التي تنكر وجود الحقائق أو القيم التي لم تستخدم التجربة حتى انتهى بها إلى أن تضحي بالقيم ، إذ رفضت التسليم بالحقائق المطلقة والقضايا الميتافيزيقية _ عالم الغيب _ بينما نجد أن الفلسفة البرجماتية لا تتردد في قبول الأفكار واعتبارها صادقة متى ما كانت مفضية لنفع يتحقق في حياة الناس.[٦]

ونتيجة ذلك : فإن من منهج البرجماتية " التجريبي " إذا تضاربت أراء الإنسان وأفكاره وتعارضت كان أحقها وأصدقها أنفعها وأجداها ، والنفع هو الذي تنهض التجربة العملية دليلاً على فائدته، وكل أنواع الخبرات بما فيها الفلسفة والنظريات العلمية ، والعقائد لابد أن تفهم في ضوء الغرض البشري منها فالأفكار ما هي إلا أدوات لتحقيق ما يصبوا إليه الإنسان من غايات ، والحكم عليها يكون بمقدار كفايتها في خدمة هذه الغايات، والنتائج اختبار لصلاحية الأفكار ، وتأثيرها على السلوك والحياة .

٤- **من أبرز مبادئ الترجماتية التجربة** : وهي مصدر المعرفة ، يقول وليم جيمس : البرجماتية تتجاوز سلبيات المناهج السابقة ، وتأخذ أفضل ما فيها لتكون منبعاً جديداً للعمل ، بدلاً من التأمل في ظواهر الكون ، فهي منهج عملي انتقائي ، يرفض الجمع بين المتناقضات عندما يدعونا للاختيار [٧] كما أن أساس قبول الأفكار تجربتها وما تنتهي إليه من نتائج .

---

(1) أنظر البرجماتية : وليم جيمس ، ص ٧٦

(2) أنظر : الفردية في الفلسفة البراجماتية ، نايف مطر ، ص١٥

(3) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، ص ٣٤

(4) البراجماتية ، وليم جيمس ، ص٧٥

(5) انظر الفلسفة البرجماتية علي عبدالهادي المهرج ، ص ٢٧ / الفردية الفلسفية البراجماتية ، نايف المطرفي ، ص ١٩ .

(6) انظر : مذهب المنفعة العامة في فلسفة الاخلاق وتوفيق الطويل ، ص ٢٦٢ .

(7) فلسفة التقدم حسن محمد الكحلاني ، ص ٩٨

ويقول " بيرس " مبيناً دور التجربة في المنهج " الفرضية يجب أن تكون قابلة للاختبار بواسطة التجربة بقدر ما هي قابلة للعمل" [١] ويقول أيضاً : " إن أي فرضية يمكن أن تكون مقبولة شريطة أن تكون قابلة للتحقق التجريبي" . [٢] بل إن البرجماتية ترفض النظر التأملي، وتطلب التجربة بدلاً من الوقوف والتأمل ، فإن " البرجماتي " عند معالجته بعض الاشكاليات بدلاً من أن يعالجها بالتأمل المعجب ، يقفز إلى الأمام في نهر الخبرة ، إذ يعيش فيها كما تعيش الأسماك في الماء. [٣]

المبحث الثاني . موقف البراجماتية من . الكون . الإنسان . المعرفة . القيم .

أولاً : موقف البراجماتية من الكون :

البراجماتية تفترض أن الكون ناقص لم يكتمل فهو طور التكوين والتجدد الدائم ، يقول جيمس : فعلى الجانب البرجماتي ليس عندنا سوى نسخة واحدة من الكون لم تتم ، وهي آخذة في النمو في كل أنواع الأماكن ، وخصوصاً في الأماكن التي يعمل فيها أناس يتفكرن. [٤]

كما أن هذا الكون ناقص وسيكتمل مع الأيام، والسنوات، والتجارب، والخبرات، وعامل الزمن ضرورة لإتمام النقص ، بل لا يمكن فهم تطور هذا الكون أو استمرار وجوده إذا أغفلنا الزمن. [٥]

إضافة إلى أن هذا الكون ليس له قانون معين ينظمه حتمي ونظام يسير وفقه، بل قوانينه تتطور وتتغير، ولا يوجد حتى قوانين حتمية له ، بل هو قائم على عنصر المصادفة ، والإمكان . وهذا ما ذكره " بيرس " : أن العالم لا يسير وفق قوانين حتمية ضرورية دائماً ، وإنما به عنصر الإمكان ، فالقوانين في تطور وتخضع لقانون التطور ذاته ، وليس المستقبل معروفاً لنا معرفة ضرورية ، وإنا قد يسير وفق الماضي وقد يتغير عنه قليلاً أو كثير، [٦] وبيرس هنا : يؤكد على مبدأ التطور والإمكان في الكون ، والإقرار بنقص الكون ، وعدم وجود من يتحكم تحكماً مطلقاً فيه .

كما أشار لمبدأ الصدفة في الكون جيمس بقوله: " إن وصف الشئ بأنه مصادف لا يخبرنا شيئاً لا يخبرنا عن حقيقة ما قد يكون ذلك الشئ في نفسه ، فقد يكون خيراً ، وقد يكون شراً ، وكل ما يقصد بتسميته مصادفياً ، هو أنه ليس مضمون الوجود ، يعني أنه كان يمكن أن يكون غير ذلك ، لأن القوانين التي نعرفها لا تقدر إخضاعه " . [٧]

ونتعجب حين نقرأ في مقالات مفكري البرجماتية ونجد التناقض، فتارة يقف البرجماتي متذمراً من دقة الكون وإحكامة _ مثلاً _ جيمس قال : " الكون المحكم الدقيق يكاد يختفي باحتوائه ، كل شئ في يقين لا يخطئ وضرورته التي لا تترك مجالا للاحتمالات ، وعلاقاته التي لا تنطوي على أدوات". [٨]

وتارة يجزم بأنه ناقص تحكمه الصدفة والإمكان ، وثالثة يجمع بين النقيضين الفوضى والنظام كما يقول جيمس : " إن في العالم عنصري النظام والاضطراب معاً وليس عنصر النظام وحده ". [٩]

---

(1) الفلسفة البرجماتية ، علي عبدالهادي ، المهرج ، ص ١٤
(2) المرجع السابق ص١٤
(3)انظر فلسفة التقدم ، حسن محمد الكحلاني ، ص ٩٩ .
(4)انظر تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ، المكتبة الثقافية الدينية ، ص ٤٥٩ ، البرجماتية ، وليم جيمس ، ص ٧٢ .
(5)أنظر وليم جيمس ، محمود فهمي زيدان ، ص ١٢٣
(6)أنظر وليم جيمس ، محمود فهمي زيدان ، ص ٣٩ .
(7)الفلسفة التقدمية ، حسن محمد الكحلان ، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، ص ١٩٦ .
(8) مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة ، محمد مهران رشوان ، ص ١٥٤ وليم جيمس ، محمد فهمي زيدان ، ص ٤٤ .
(9) وليم جيمس ، محمد فهمي زيدان ، ص ١٣٢ .

ثانياً : موقف البراجماتية من الإنسان :

يقول ديوي " إن العالم كله وحدة واحدة لا فرق بين ما هو طبيعي وما هو إنساني ، فهو عالم متصل يشتمل على الطبيعة والإنسان ، ونفسه ، وعقله ، وذكائه ، باعتبار أن هذه الأمور كلها أجزاء من الطبيعة نفسها ، والكل في حركة متصلة وجريان دائم ، وإن شئنا أن نعين مركزاً في هذا العالم المتصل المترابط فهو الخبرة " . (١)

وتظهر لنا نظرة البرجماتية للإنسان فيما يلي :

١- نظرة مادية بحتة ، ألغت الروح والمشاعر والتأمل والتفكر ، وجعلتها أجزاء من الطبيعة ، يستخدمها الإنسان ليُسخِر من خلالها قوى وإمكانات الكون لمصلحته العين _ مثلاً _ لم تخلق في الإنسان لتنقل إليه ألوان قوس قزح، إنما خُلِقتْ فيه لتدله على مواضع الخطر ، تحت قدميه فتجنبه المهالك أولاً ، فالعين أداة للحياة ، وكذلك العقل سواء بسواء ، يستخدمها الإنسان في المحافظة على الحياة أولاً ، وفي تنميتها ثانياً. (٢)

٢- والإنسان في الفلسفة البرجماتية كل متكامل ، لا تنفصل قواه العقلية والجسمية بعضها عن بعض، وهذه النظرة إلى الإنسان تجعل منه شيئاً ثميناً يستحق العناية والنمو، وهو مصدر من مصادر المعرفة، من خلال نشاطه الذاتي وخبرته " فالطفل الذي يمد يده إلى النار فتحرقه، يكتسب خبرة فلا يمد يده على نفس المصدر المؤلم ثانية" . (٣)

٣- الفلسفة البرجماتية ركزت على الجانب المادي، واستصغرت حقيقة الروح وارتباطها بالنشاط الإنساني. (٤)

٤- أن الطبيعة الإنسانية طبيعة مرنة ، تخلو من الجانب الروحي ن وترى كذلك إن التطور مبدأ أساسي بحكم الحياة بأكملها ، المسلمات التي أخذ بها فيما يتعلق بالطبيعة الإنسانية ، تدل على نظرية علمانية واضحة .

يقول ديوي : " إن العالم المادي هو مجال نشاط الإنسان ، ولا شئ غير ذلك . ولا يعترف _ ديوي _ بالفصل بين العقل والجسم والروح. (٥)

وقد وصل بهم أن اعتبروا أفعال الإنسان وأخلاقه جزء من الطبيعة ، فتدعى البرجماتية أنها لا ترى دليل على وجود أي شئ روحي في الإنسان ، فهو قد تطور كجزء مادي من الطبيعة ، ولما كان كذلك فعليه أن يتأقلم ليعيش فيها ، ويصارع لأجل البقاء مستخدماً ذكائه الذي ينمو من خلال تجربته. (٦)

٥- من القضايا التي تعرضت لها الفلسفة البرجماتية قضية هل الإنسان مسير أم مخير !! حيث أعطت الإنسان حرية مطلقة ، وإرادة كاملة ، في جميع تصرفاته ، ومنحته الحرية المطلقة في التصرف .

" فالفكر "، ما هو إلا أداة من أجل العمل ، ولا يبدأ الإنسان في التفكير إلا حين يصطدم بصعوبات مادية، يكون واجباً عليه التغلب عليها، وبالتالي فإن الأفكار ليس لها إلا قيمة "أداتية " أو " وسيلة " فالعقل عند البرجماتي أداة لفهم العالم وتغييره، والنظريات الفلسفية وسائل تقودنا لإنجاز أهداف نحددها نحن في المستقبل . (٧)

---

(1) جون ديوي ، أحمد الأهواني ، ص ٧
(2) انظر مقدمة في فلسفة التربية ، حسن عبدالعال ، ص ١٢٢ .
(3) جون ديوي ، ص ٢٥ .
(4) أنظر :الفردية في الفلسفة البراجماتية ، نايف المغربي ، ص٦٠
(5) أنظر جون ديوي ، ص ٢٣٩ .
(6) انظر : أصول التربية الثقافية والفلسفة ، محمد منير مرسي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص ٢٣٢.
(7) انظر فلسفة التقدم ، حسن الكحلاني ، ص ١٠٥ .

٦- البرجماتية تعتقد بأن الإنسان شرير بطبعه ، وإن رغبته في الخير مصطنعة بفعلتها لتحقيق غرض نفعي بحت، وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ، ولا لوم إذا انساق وراءها.[١]

ثالثاً : موقف البرجماتية من المعرفة :

١- المعرفة عملية تفاعل بين الإنسان وبيئته، فالإنسان لا يقتصر على مجرد استقبال المعرفة ، بل إنه يصنعها، والحقيقة فيما يخص الإنسان ليست مستقلة عن الأفكار التي يقترحها بقصد تفسيرها ، بل الحقيقة نسبية وقابلة للتغيير، وترى أن الطريقة السلمية، هي أسلم وأفضل طريقة لاختيار الأفكار ، والمعرفة بالنسبة للبرجماتي هي ثمرة التفاعل بين العقل الإنساني والبيئة المحيطة، أو هي ما يسميه البرجماتي إعادة تجديد الخبرة ؛ لذلك يرى البرجماتي أن المعرفة شيئاً نسبياً ، وهي ما تشكل طبقاً لخبرات الملاحظ ، وطبقاً للبيئة المحيطة التي يتم فيها ممارسة الخبرات ويعتقد البرجماتي إن الأساس في الوجود قائم على التغيير، لذلك لا توجد معرفة مطلقة ، وإنما توجد المعرفة طبقاً لمستوى قيام العقل الإنساني بوظيفته، وهو يستعمل الخبرات الاجتماعية، والطرق العلمية والنظرات الشخصية من خلال إعادة تنظيم الخبرات ، ليعطيها تأثيراً أفضل، لذلك لا يهتم البرجماتي بأن يكون الشئ حقيقاً، بقدر ما يكون عملياً ، وله تطبيقات نافعه للأفراد، والبيئة التي يعمل فيها الإنسان.[٢]

٢- لا يوجد معرفة مطلقة، ولا حقائق ثابتة ، في عالم الواقع من وجهة نظر البرجماتية ، والخبرة والتجربة هي المصدر والطريق الوحيد للوصول للمعرفة، والتجربة الجزئية " النسبية بغرض النفع ، لا التجربة العملية التي غايتها العلم : فالعقل عندها يعني الشخصية المحددة فحسب، والمعرفة هي ما يعمل لأجل الفرد، ويَتْبع ذلك أن يصبح لكل فرد طِبقاً للبرجماتية حقيقته ومعين فلسفته الخاصة به [٣]ويؤكد ديوي على أن العقل ليس أداة للمعرفة ، وإنما هو أداة لتطور الحياة وتنميتها ، فليس من وظيفة العقل أن يعرف ، وإنما عمل العقل هو خدمة الحياة . كما يقدس بيرس التجربة على أنها الوسيلة الوحيدة للوصول للحقائق ويقول " إننا لو استطعنا أن ننشأ مجتمعاً معملياً ، أي مجتمعنا يتم التفاهم فيه على النحو الذي يتم التعامل فيه بين العلماء في المعمل ، لأنتهينا إلى معنى الحق بدون منازعة أو خلاف.[٤]

٣- والمعرفة ذاتها في البرجماتية قامت على فلسفة تجريبية، إلا أنها قد طورت التجربة فلم تقف عند حدودها الظاهرة، بل ربطت بين التجربة والفائدة المترتبة عليها، فاعترفت بالمعرفة المبنية على التجربة الحسية وربتطها بحكم آخر خارج عنها ، وإن كان داخل في التجربة الذاتية " الخبرة " متمثل في إدراك تحقق الفائدة.[٥]

رابعاً : موقف البرجماتية من القيم :

من أبرز الأفكار المتصلة بنظرة الفلسفة البرجماتية للقيم أن مصدرها هو الخبرة والنشاط الذاتي والتجربة ، وهذا بالتأكيد يعني أن القيم عند البرجماتيين هي نتيجة اجتهاد الإنسان في تتابع الخبرات وقدرته على استخلاص نتائج للتفاعلات المختلفة في هذه الخبرات .[٦]

ويؤكد أيضاً " ديوي " على أن " القيم أمور إنسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان على ظهر هذه الأرض وليست أخلاقاً متعالية تُفرض على الإنسان فرضاً من جهة عليا" .[٧] لذا كان موقف الفلسفة البرجماتية من القيم يُعتمد على موقفها من المعرفة ، خصوصاً

---

(1) انظر البرجماتية ، مراد بن احمد القدسي ، منبر علماء اليمن .
(2) انظر دراسة ناقدة للفلسفة البرجماتية في ضوء المعايير الإسلامية ، محمد خصر بشير ، ص ٥٤ .
(3) انظر جون ديوي ، ص ٢٩٨ .
(4) الحوار المتمدن ، ماجد محمد حسن ، مقال .
(5) البراجماتية ، وليم جيمس ، ص ٦١ .
(6) أنظر جون ديوي ، ص ٣٤
(7) انظر : جون ديوي ، ص ٤٢ .

ما يتعلق بالحقيقة المتعلق بالمعرفة ، ويمكن القول : بأن موقف البرجماتية من القيم هو موقفها من الحقيقة إجمالاً [١]

لأن مقياس الخير والشر في مجال الأخلاق هو نفسه معيار الحق والباطل، أو الصواب والخطأ في مجال المعرفة ومنفعة الإنسان ، وبذلك رُدِت إليه.[٢]

ولهذا أثرت البرجماتية في مفهوم القيم بما يعرف بـ (القيم النسبية) وتنقسم في الغرب إلى ثلاثة أقسام :

١- النسبية المكانية للقيم : وهو يترك لكل ثقافة معاييرها الخاصة في اختيار ما تراه مناسباً، فلا قيمة للحلال والحرام إلا بما يحقق رغبات الناس وما يعود عليهم بالنفع .
٢- النسبية الزمانية للقيم : وهي تجعل القيم متطورة ، ومتغيرة من زمان إلى زمان آخر ، فلا ثبات على ما مضى ولا استمرار على ما وجد .
٣- صلاحية القيم : وفيها ينظر إلى ما تخلفه تلك القيم من مصالح ، فيحكم بفائدتها ، فإذا كان الأمر المعين حراماً من وجهة قد يصبح حلالاً من وجة آخر ، إذا حقق للإنسان منفعة ، فالدكتاتورية ظلم وتعسف إذا لم تحقق المصلحة، وإن حققتها فهي عدل ونظام مقبول.[٣]

ويضع جيمس مبرراً بقوله : " إن العلم الأخلاقي إنساني بحت ، وذلك أن الإنسان هو الكائن الخلقي الوحيد في العالم ؛ ولذا فالمعقول أن يكون مصدر الخير والشر ، والفضيلة والرزيلة ، إن الإنسان هو الخالق الوحيد للقيم في ذلك العلم ، وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتباره هو ".[٤]

ومن خلال تفاعل الفرد مع الآخرين " يقرر الفرد نوعية القيم التي يجب أن توضع في المرتبة الأولى، وأن على الفرد أن يراقب أعماله ، ويرى مدى مساهمتها في تحقيق القيم ، التي منحها ثقته واهتمامه ، فتصرف الفرد وتحركاته نابعة من شخصه ، وليس من مصدر غريب عن نفسه . [٥]

إذاً من نظرة البرجماتية للإنسان والكون والمعرفة والقيم نلخص إلى :

١- إن أفكار الإنسان وآراءه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولاً ، ثم السير نحو السمو والكمال ثانياً .
٢- إذا تضاربت آراء الإنسان وأفكاره وتعارضت ، كان أحقها وأصدقها وأنفعها وأجداها في النفع هو الذي تنهض التجربة العملية دليلاً على فائدته .
٣- البرجماتية ترفض ما نسميه بالمبادئ المطلقة العامة ، بل لابد أن تخضع للتجربة فما كان نافعاً أصبح ذا قيمة وإلا فلا .
٤- لا تؤمن البرجماتية بالوحي الإلهي، ولا بالسنن الكونية ، ولا ترى سوى الوجود البشري ، وهدف البشر لتحقيق السعادة في هذا العالم، وعلى هذا فالاعتقاد الديني لا يخضع للتلقي فقط عن طريق العقول ،بل لابد أن يخضع للتجربة وما كان نافعاً قُبل لأنه يؤدي إلى الكمال .
٥- تُسَوغ البرجماتية كل الوسائل _ وإن كانت محرمة وضارة _ بما أنها تحقق المنفعة واللذة للإنسان ، فإذا كانت الميكافيلية القديمة تقول : " الغاية تبرر الوسيلة " مع اعترافها بحرمة الوسيلة الضارة ، وإقرارها بأنها إنما أخذتها للحاجة ، وللوصول إلى الغاية ،فالبرجماتية جعلت تلك الوسيلة الضارة والمحرمة مباحة ومشروعة ، وينبغي أن

---

(1) انظر : نظرية القيمة في الفكر المعاصر ، صلاح قنصوه ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ص ١٣٨ ، وانظر الفردي في الفلسفة البرجماتية ، نايف مطرفي ، ص ٧٩

(2) انظر : مذهب المنفعة في فلسفة الأخلاق ، توفيق الطويل ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٣٠ .

(3) أنظر :البرجماتية ونشأتها وأثرها على سلوك المسلمين ، د/ احمد الشميمري ، مقال

(4)وليم جيمس ، محمد فهمي زيدان ، ص ١٦٤ .

(5)انظر : دراسة ناقدة للفلسفة البرجماتية ، محمد خضر شبير ، ص ٧٥ .

نتخلص من عقدة الذنب ، بل تدعو إلى المفاخرة بسلوك تلك الوسيلة التي حققت تلك المنفعة. [١]

الفصل الثاني: نقد البرجماتية

المبحث الأول: أثر البرجماتية على العالم الإسلامي

إن الغرب قد بلور قيماً للمجتمع المدني الحديث ، ولكن الأمريكيين، إذا ما استفردناهم سياسياً ضمن جغرافية الغرب الشاملة ، تفننوا في تلوين تلك القيم بالغلاف الليبرالي المهيمن، ومن هذا المنظور كان العلاقة بين السياسة والأخلاق أقوى في تراث الفكر الأوربي مما هوي عليه في أدبيات الفكر السياسي الأمريكي .

إن الثقافة الأمريكية جوهرها ذرائعي مطلق، ولذلك لم تكتف السياسة عندهم باتخاذ البرجماتية مرجعية بين المرجعيات الأخرى المتعارف عليها في العمل السياسي ، بل اتخذتها عقيدة ولم يعكف سياسي أمريكي على تدوين تجربته السياسية إلا وتغني في نفس الوقت بعظمة الولايات المتحدة الأمريكية، وبأن عظمتها متأسسة على نجاعتها الذرائعية ، كذا فعل " ريتشارد نيكسون " عندما أصدر سنة ١٩٨٨م كتابه بعنوان " ١٩٩٩ نصر بلا حرب " وفيه يُصور المركزية الأمريكية أوضح تصوير قائلاً " إن الولايات المتحدة هي التي سوف تتحمل المسؤولية في تحديد أي المواريث سيحظى بفرصة البقاء ، وذلك لإنهاء أقوى دولة في العالم الحر ، والسلام والحرية لايمكن أن يستمرا في العالم إذا لم تقم الولايات المتحدة بالقيادة الدولية الأولى، وسواء أحببنا أم كرهنا فإن مهمة القيادة تقع على عاتق الولايات المتحدة ، إننا القوة هي التي تدفع العالم صوب الخير أو الشر ،وعلينا أن نكف عن الإحساس بالذنب بسبب أننا الأقوى " [٢] وكذا فعل " بيل كلينتون " عندما أصدر عام ١٩٩٦م كتابه : " بين الأمل والتاريخ " وكيف تستعد أمريكا لتحديات القرن الحادي والعشرين وفي ذهنه تصوير الوفاء للقيم الأمريكية التي تتشخص في قيادة العالم ، وهذه الزعامة الكونية هي التي أنطقته بالقول : " إنني أريد أن تبنى الولايات المتحدة المكان الآمن، وأن تظل القوة الأولى في العالم ". [٣]

كما أن ولادة الإعلام في كثير من بلاد المسلمين كانت على يد المستعمر الأجنبي ، الذي أنشأ تلك الوسائل الإعلامية ، التي من أهدافها أن تديم وتبقى استعماره ، وتُرسخ سيطرته وسطوته ، ولذلك فقد كانت منطلقات الإعلام وأهدافه لا تمت بصلة لخدمة قضايا الأمة ، ولا ترتبط بتراثها الأصيل ، وتحولت إلى مؤسسات حكومية ظلت تقلد الغرب، وتعتمد على الترجمة والاقتباس، والنقل الأعمى لما يبثه إعلام الغرب ووسائله، وهكذا كان الحال في معظم البلاد العربية والإسلامية، وعلى هذا فقد بُني أغلب إعلامنا لخدمة الغرب ومبادئه ، وغلب عليه الانفصام بين الدين والدنيا ، والبعد عن الأصالة ، والايغال في التقليد الأعمى، ولم تكن الحركات الإصلاحية الرسمية ذات أثر فعال ، سوى فيما يحقق أهدافها ومآربها من توجهات إعلامية ترضيها ، وتعمل على تقديسها وإطفاء الشرعية المطلقة لأحكامها وأوامرها.

كذلك الحال في الاقتصاد فأصبح المصطلح البرجماتي مفهوما بالإدارة والاقتصاد ، وتسلل هذا المفهوم إلى مبادئ الاقتصاديين والإداريين المسلمين ، وسلوكيات التجار وأصحاب الأموال والاستثمارات ، فتساهل الممارسون للأعمال التجارية في استخدام جميع الوسائل _ بغض النظر _ للوصول إلى ما يعتقدونه هدفاً سامياً ، وغاية حسنة تسوغ

---

(1)انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، ٣٦ .
(2)انظر : السياسة ومأزق البرجماتية ، د/ عبدالسلام السدي ، مقال
(3)المرجع السابق

الوسائل كلها ، فظهر من ينادي بحِل بعض أنواع الربا ، حتى تتمكن البنوك الإسلامية من مقارعة مثيلاتها الغربية الكافرة ومنافستها.[١]

هذا الفكر الدخيل وجد أتباعاومرددين ، بل ودعاة ومروجين له ، ولو لم يسمعوا به من قبل، أو يخطر لهم على بال ، لعدد من الأسباب مجتمعة هي :

١- هذا الفكر الذرائعي البراجماتي يتبناه أصحاب الفكر العلماني - بعد فشلهم في تسويق العلمانية- لوصول إلى مآربهم وأهدافهم في تمييع شرائع الدين ونقض أصوله وثوابته.

والحق أن البرجماتية - على هذا النحو- تعد أكثر خطراً على سلوك المسلمين وعامتهم من العلمانية في وقتنا المعاصر، كما أن دعاتها الذين استمرأوا هذا الفكر ودافعوا عنه ، وروجوا له وحسنوه في أعين الناس، وارتضوه معتقداً ومنهجاً لسلوكهم ليسوا مجرد عُصاة ، بل مبتدعة ومحدثون يسرى فيهم قول **المصطفىﷺ: (ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة [٢])**[٣]

وحقيقة هم أشد من مرتكبي المعاصي المقصرين والمعترفين بذنوبهم وآثامهم ،فكما قال سيفان الثوري رحمه الله:"البدعة أحب إلى إبليس من المعصية فإن المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها " [٤]

فخطرهم قد امتد إلى كثير من نواحي الحياة ، ولم يقتصر على السلوك الشخصي لأبناء الأمة ، بل تجاوزه إلى التغلغل إلى معاملاتهم الاقتصادية، وتوجيهاتهم الأدبية، ومناهجهم السياسية، ومنطلقاتهم الإعلامية.[٥]

٢- الفكر البرجماتي ظهر بعضة وفي آخر تجلياته في البلاد الإسلامية في الفكرة التي نسمعها كثيراً حول تطوير الشريعة ، أو في مفهوم الاجتهاد الفقهي ، ومَردُ ذلك هدم مبادئ الشريعة وفرض النسبية، والتغير العشوائي عليها ، كما يؤدي في النهاية إلى إلغاء تلك المبادئ ذاتها ، وذلك كله تحت شعارات: مجارة العصر، واللحاق بركب التقدم ، والتحلي بروح العلم ، والتماشي مع الواقع.[٦]

٣- قلة العلم الشرعي وإتباعالهوى : إن قلة العلم والعلماء المختصين بالعلم الشرعي ، وندرتهم لسد حاجة الأمة أظهرت النقص في المرجعية ، والتخصص العلمي ، فظهرت طبقة جديدة من المثقفين وجيل جديد من أصحاب الشهادات العلمية البراقة ، لديهم ثقافة سطحية، فبرز أولئك المعتدّين بالعقل في كل شئ، وجعلوا النقل تابعاً له وحكّموه في قبول النص وفهمه، ومعلوم أن الإنسان الذي لا يتبع الشريعة فهو متبع لهواه قال تعالى:{ **ثُمَّ جَعَلْنَاك عَلَى شَرِيعَة من َالْأَمْر فَاتَّبِعْهَ اوَلَا تَتَّبِع أَهْوَاء الَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ**}.[٧]

فظهر الاتجاه الذرائعي في الفتوى ، والأحكام والمعاملات ، بعد أن ركن _ بعض _ الدعاة إلى ما تميل إليه نفوسهم، وترغبه وتهواه من أمور تسوغ لهم متصرفاتهم، وتحقق لهم مصالحهم ، مع مجالستهم واختلاطهم بالنفعيين المتزلفين ، وأصحاب الأهواء ، فاعتدوا بآرائهم واستحسنوها ، ووجدوا من أتباعهم من تروق له هذه " الأفكار والأحكام فباركوها وتتلمذوا عليها ! وظهر من ينادي بأن " الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان " .

---

(1)انظر البرجماتية نشأها وأثرها على سلوك المسلمين ، احمد الشميمري ، مقال

(2)البرجماتية ونشأتها وأثرها على سلوك المسليمن ، د/ احمد الشميمري ، مقال

(3)صحيح مسلم حديث رقم ١٠١٧

(4)اعتقاد أهل السنة، اللابكائي ، ٤٥/٢، ورواده البهيقي في شعيه ، وأبونعيم في حلية الأولياء ، ٥/٤، وأبهمه ابن مفلح في الاداب الشرعية ٨٩/١

(5)انظر البرجماتية نشأتها وأثرها على سلوك المسلمين ، د/ احمد الشميمري ، مقال

(6)انظر : البرجماتية ، مراد بن احمد القدسي ، منبر علماء اليمن

(7) سورة الجاثية ، آية ١٨

ومعلوم أن أحكام الإسلام ثابتة لا تتغير بتغير زمان ولا مكان ، وإنما يتغير اجتهاد المجتهد بتغير ما يجد في حياة الناس، أو يحتاج اجتهاد كالنوازل التي تنزل بالناس ، أو اختلاف الحال ، فتغير فتوى المفتي أو اجتهاد المجتهد .

المبحث الثاني البرجماتية في ميزان العقيدة الإسلامية

١- البرجماتية حين حصرت الحقيقة في الخبرة فشلت في تقديم شئ عن الحقيقة الكلية ، وعندما جعلت الحقيقة من وضع الإنسان هونت من شأن الحقيقة ، كما أنها ضخمت من أهمية رغبات الفرد على حساب البحوث العلمية الجادة .

إن البرجماتية هي المسئولة عن النسبية التي يعيشها الغرب ، والتي فوضت كل المسلمات والإحساس بأي قيم سابقة تحكم رؤيته للحياة ، ولقد أفرز لنا هذا الفكر جملة من الثنائيات ، وافتُعلت الخصومة بينها ، فالعلم مقابل الدين ، والعاطفة مقابل العقل ، والفرد مقابل الجماعة وهكذا ...

٢-العقلية البرجماتية " الأمريكية والغربية " لم تأتِ نتيجة لجدل فلسفي فكري بقبع في كتب الفلاسفة وتنظيراتهم ، وإنما جاءت كسلوك برجماتي راسخ في الذهنية والسلوك ، من خلال تحويل الفلسفة للنظرية البرجماتية ، ونظرتها المادية النفعية الخالصة نحو الكون والقيم والحياة، إلى مشروع سلوكي ممارس على مستوى المجتمعات ، ومن ذلك : الدين أخضعه " وليم جيمس " لمبدأ النفعية " فالذي يكون صميم الدين ليس الطقوس ، ولا الفرائض والمعتقدات ، بل الذي يكون من صميم الدين العاطفة والشعور الديني ، بل إنه يُخْضِع الإيمان بالله ، والاستدلال على وجوده لذلك الشعور، وأن الأفكار اللاهوتية متى ما أثبتت أن لها قيمة في الحياة المحسوسة فهي في أفكار صحيحة. (١)

والسبب في ذلك : هو أن المعيار في الصدق والحقيقة لدى البرجماتية مقلوب ، فعندهم يكون الحق حقاً إذا كان نافعاً ، ومتى لم يكن نافعاً فهو ليس بحق ، بينما الحق والعقل والمنطق يقتضي أن الحكم على الحق والصدقِ ، ليس مرتبطاً بالمنفعة ، فكل حق يكون نافعاً وليس العكس. (٢)

ويُرَدُ على هذا بعدة أمور :

١- هذا مخالف للفطرة البشرية التي ينبثق منها التدين في النفس البشرية من خلال الشعور الفطري بالاحتياج ، وبالتأله والتأليه ، أي بعبارة أخرى شعورها بشوق غريزي نحو ذات مقدسة متعالية عن كل صور النقص الموجود في المحدثات ، وشعورها بضرورة ارتباطها بهذه الذات ، وحاجاتها إلى تقديسها وتعظيمها. (٣)

وهذا الشعور الفطري لدى الإنسان ما هو إلا تمهيداً للين الذي يحمل أسساً إيمانية ، ومناهج عملية ، تضم توحيداً لله وعبودية له دون سواه ، جاء بها محمد ﷺ من ربه في القرآن والسنة المطهرة ، وهو كالبذرة لا يتغير ولا يتطور ، وقد قرن الله بين الدين وهذا١الشعور تأكيداً لملاءمتها له قال تعالى : { **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**} (٤) قال الشوكاني رحمه الله " الدين القيم" المأمور بإقامة الوجة له والإشارة في ذلك عائد إلى لزوم الفطرة، أي الزموا المحذوف، وهذه إشارة إلى تطابق الفطرة مع دين الله المنزل. (٥)

---

(1)البرجماتية ، وليم جيمس ، ص ٦٩ .
(2)انظر البرجماتية عرض ونقد ، د/ منصور الحجيلي ، ص ٢٧ .
(3)انظر ، الدين ، محمد دراز ، ص ٩٧ .
(4)سورةالروم ، ٢ .
(5)انظر : فتح القدير الشوكاني ٤ / ٢٤٤

٢ - إن الإسلام دعا إلى تصحيح العقيدة على أساس عقلي صرح به الشرع ، فليس مناقضاً للفطرة ، هي فطرة الله التي فطر الناس عليه ، قال صاحب كتاب دستور الأخلاق: " وفي القرآن يسير العقل والنقل جنباً إلى جنب " وهو يُفهم من قوله تعالى { **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْنَعْقِلُ مَاكُنَّا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**} [(١)]فلو فكر بعقل بعيد عن التقليد والعصبية ، لعلم أن المعبود هو من بيده النفع والضر.[(٢)]

٣- إن مجرد إخضاع الدين والأوامر الإلهية للتجربة، للحكم بصحتها أو عدمها، يعتبر مشاركة لله ﷻ في خلقه، مما يتنافى مع الوحدانية له، وإن مجرد التفكير في إخضاع الدين للتجربة، هو شك في صحته ، والدين لا يقبل شكاً، فلا يجوز الجمع بين الشك والإيمان، لأن أمور الإيمان تتجاوز الحس ولا تدخل في مجال التجربة، ومن أعظم خصائص العقيدة الإسلامية أنها " قطعية لا يعتريها شك، ولا خلل، ولا نقص، ولا سهو، ولا ريب على الإطلاق.[(٣)] كما أن " الدين محفوظ بجميع جزئياته ليس فقط قواعده وأصوله، بل محفوظ بأحكامه، وهو عبارة عن كنز موجود واضح بينّ نقي ليس فيه غموض، يقول النبيﷺ (**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**[(٤)])[(٥)]فالدين محفوظ إلى يوم القيامة.

يقول الشاطبي رحمه الله : " إن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار ومجالاً للظنون، وقد ثبت عند النظَّار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة ، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف ، لكن في الفروع دون الأصول ، وفي الجزئيات دون الكليات".[(٦)]

والمسلم الحق لا يضع عقيدته موضوع الشك ، ولا يجعل إيمانه بالله تعالى موضوع اختيار، بل على العكس تماماً ، يؤمن بأن الله ﷻ يختبر عباده قال تعالى : {**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**} . [(٧)]

وما ذلك إلا لأن الفلسفة البراجماتية مبنية على فكر لا يؤمن بالله ﷻ، ولا يعترف بالدين، إلا أن شكل نفعاً شعوريا للمؤمن به، فتجعل الإيمان خاضعاً للمنفعة ، فإن كان اليوم يُدر نفعاً على شعور الفرد يشعره بالرضا آمن، وإن ثبت خلاف ذلك ألحد وترك الإيمان ، لأنه غير نافع له يقول وليم جيمس : " إذا كان فرض يعمل إكفاء ورضا في أوسع معاني الكلمة، فهو فرض صحيح ".[(٨)]

وهذا مخالف لمفهوم المنفعة في العقيدة، التي تمتد إلى الآخرة وليست ، قاصرة على الدنيا ، كما يعتقد النفعيون في كل زمان ومكان قال تعالى : {**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ (٣٤) وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ** } [(٩)] فلابد من التسليم لأمر الله ، وإرادته بيده الخير والضر قال تعالى : {**قُلْ لَاأَمْلِكُ لِنَفْسِي**

---

(1)سورة الملك ، آية (١٠)
(2)أنظر : دستور الأخلاق في الإسلام ، عبدالله دراز ، ص١٢٠ .
(3)شرح لمعة الاعتقاد ، ابن قدامه المقدسي ، شرح الدكتور ناصر العقل ص٩٠١.
(4)سنن ابن ماجة ، حديث رقم (٤٣) ، ورواه الحاكم في المستدرك ١٧٥/١ ، مسند الإمام أحمد١٢٦/٤ ، رواية من حديث العرباض ابن سارية.
(5)شرح لمعة الاعتقاد ، ابن قدامه المقدسي ، شرح الدكتور ناصر العقل ، ص٦٢
(6)الاعتصام ، الشاطبي ، ١٦٨/٢
(7)سورة المؤمنون : ١١٥ - ١١٦
(8)البرجماتية ، وليم جيمس ، ص ٣٤٨
(9)سورةالزخرف ٣٣-٣٥

نَفْعًا وَلَاضَرًّا إِلَّا مَاشَاءَ اللَّهُ وَلَوْكُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَامَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَ اإِلَّا نذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [١]

٤- كما أن البرجماتية تتعامل مع نصف الحقيقة، وتغفل نصفها الآخر، فلا تؤمن إلا بعالم المادة المدرك بالحس فقط وما عدا ذلك لا أهمية له، فهي ترفض الغيبيات كلها، " ديوي " يرفض الميتافيزيقيا رفضاً قاطعاً ، ويرى أن التفكير الميتافيزيقي لا يقدم ولا يؤخر، مقابل ما قدمه الإنسان من السيطرة الذكية على الطبيعة ، بل يعتبرها تقف عقبة أمام الباحث ، ويغلق عقول البشر أمام الإمكانات الكامنة في الطبيعة،[٢] وهذا يتنافى مع العقيدة الإسلامية التي تؤمن بالحقائق الغيبية المستمدة من الوحي المطهر، أشد من إيمانها بالحقائق الحسية ، ذلك أن الحواس قد يعتريها الخلل فتقع في الخطأ ، أما الوحي فمحفوظ بحفظ الله قال تعالى : {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}. [٣]

فكان من أهم خصائص العقيدة أنها " توقيفية غيبية " أي موقوفة على الشرع ، لا يمكن أن تُستمد من غير الدين والشرع ، وأنها في أصولها في منطلقاتها غيبية ، قد يكون بعض الجوانب يدركها الإنسان بعقله السليم وفطرته ، لكن إدراك إجمالي وتبقى أصولها وتفاصيلها غيبية. [٤]

والموقف الحق السليم هو : النظر إلى الأشياء سواء كانت في مجال الفكر أو السلوك نظرة معيارية فما كان حقاً ، فإن ما خالفه باطل ولو جاء تالياً له ، والمنطق من ثم أن يتمسك المرء بالحق ، ولو كان الأسبق ، ويرفض الباطل ولو كان الجيد المسُتحدث. [٥]

٥- كما أن إعمال العقل في غير مجاله ، وغياب نور الوحي عن العقل البرجماتي ، مع أن الفطرة السليمة تدل الإنسان على أن لهذا الكون خالقاً مدبراً ، مهما طمستها غوايات الشيطان ، وبلغت من العصيان ما بلغت ، فقد كان الاستدلال : أي بإقرار الفطرة بوجود الخالق وعلى استحقاق الله تعالى للعبادة حجة قائمة قال تعالى{يَاأَيُّهَاالنَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَتَ جْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًاو أَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)} [٦]

فأصل الدين وقوامه، ولبُّه وصميمه ، يتمثل في الإيمان بوجود الله ، وتحقيق كمال وحدانيته ، وتوحيد الربوبية أو المعرفة أمر فطري معلوم في النفوس ، التي هي مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات.

وفي الحقيقة الصحيح " أن يمكن أن نقول هل هناك تكافؤ بين العقل والشرع ، ليس بمنزلته ؛ لأنه معرض للخطأ ، ولأن الشرع هو دين الله مبني على كلام الله المعصوم من الخطأ ، ولكن العقل لا يعدو أن يكون مخلوقاً ، فإذا كان مخلوق فلابد أن تعتريه عوارض كالنقص والسهو والنسيان والخلل وكذلك الفناء ، فالنقص للعقل والكمال للشرع ". [٧]

---

(1)سورة الأعراف ١٨٨

(2)انظر : الفردية في الفلسفة البرجماتية ، نايف مطرفي ص ١١٥ .

(3)سورة المؤمنون : ١١٥ – ١١٦ .

(4)انظر : شرح لمعة الاعتقاد ، ابن قدامة شرح / د ناصر العقل ص٩٥.

(5)انظر : السلفية وقضايا العصر ، د/ عبدالرحمن الزنيدي ، ص ٤٤٩

(6)سورة البقرة : ٢١ – ٢٢

(7)شرح لمعة الاعتقاد ، ابن قدامه شرح د/ ناصر العقل ص٩٥

٥- كما أن الاعتقاد الصادق بوحدانية الله ، من قبل الفرد ينعكس على تصرفاته ، وسلوكه العملي في دوافع حياته ، فيتخلص من نزعه (الأنانية الفردية) التي تدعو لها البرجماتية ، لأن الفرد إذا صدّق جازماً بوحدانية الله ، ووصل لدرجة الاقتناع المبني على التسليم الحقيقي بكل ما جاء به الدين ، فمن العسير أن يخالف أمر ربه ، أو يناقض شرعه قال تعالى { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ }[١]

لأن قمة النفع في ضوء العقيدة ، أن يوجه الإنسان كل عمل يقوم به لله ﷻ، فيضمن الفلاح فيما يعود عليه من خيرات عاجلة وآجلة ، كما أن هذا الاعتقاد يدفع الفرد ليكون ذا فاعلية مطلقة في تقدمه ورقيه ، لأنه يطلب الكمال في مختلف نواحي الحياة الإنسانية ، والسمو في مداركه ومعارفه قال تعالى {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَاكُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٢]وهنا يكون مصدر أن للعلم والمعرفة هما : العقل والوحي .

وفي العقيدة الإسلامية هما وسيلة الإنسان للحياة السليمة ، قال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }[٣] فالكتاب هو الوحي، والميزان هو العدل وما يوزن ويقاس ، والعقل ميزان من خلال ما يفرق بين الأمور المتشابه والمختلفة ، قال ابن تيمية _رحمه الله_ : " والقياس الصحيح هو من العدل الذي أنزله ، ولا يجوز قط أن يختلف نص ثابت عن الرسل ، وقياس صحيح ولا يجوز قط أن الأدلة الصحيحة النقلية تخالف الأدلة الصحيحة العقيلة". [٤]

العقل مصدر للمعرفة ، وهو الوسيلة التي كلفنا الله على أساسها، وأمرنا أن ننظر في أمر الرسالة ومن ثم الوحي من خلالها قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَة أَنْتَقُومُو لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَ ثُمَّ تَتَفَكَّرُ وامَابِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ}) [٥]

إن العقل جزء من الإنسان المخلوق المحدد ، ومن ثم فإن المعرفة الناتجة عنه تبقى دون العلم الذي يقدمه الوحي ، وهذه هي الحقيقة ، يقول ابن تيمية _رحمة الله_ : " العقل شرط في معرفة العلوم ، وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل ولكنه ليس مستقلاً بذاته " [٦]

ثم إن العقل في حالة تغير دائم وراء العمل المتجدد ، فتصبح القيم والأفكار دائماً متغيرة ، وفي مجال التشكيك وخاضعة للتجربة استناداً للمنطق العقلي النفعي ، وهذا فتح باب لتعددية القيم والاتجاهات، لأن العقول تتفاوت والأهواء والرغبات ، وبالتالي تفقد هذه القيم قيمتها ، يقول ابن تيميه_رحمه الله_ : " كون الشئ معلوم بالعقل أم غير معلوم بالعقل ، ليس صفة لازمة لشئ من الأشياء ، بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيداً قد يعلم بعقله ما لا يعمله بكر بعقله ، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر ". [٧]

---

(1)محمد : ١٧
(2)الشورى : ٥٢
(3)الحديد ، ٢٥
(4)الرد على المنطقيين ، ابن تيمية / ص ٣٧٣
(5)سورةسبأ ، ٤٦ .
(6)درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، ١٦٤/١
(7)درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، ١٦٤/١

ويؤكد التفاوت والاضطراب في العقول ، وصعوبة رد الناس إليها بقوله " ليست العقول شيئاً واحداً بيناً بنفسه ولا عليه دليل ، معلوم للناس بل فيها هذا الاختلاف والاضطراب، ومن ثم فإن الاعتماد عليها إحالة للناس على شئ السبيل إلى ثبوته ومعرفته ولا اتفاق للناس عليه " . [١]

وعكس ذلك الوحي والشرع ففيه من الثبات والثقه تجعل الناس والعقول تقبل به : " وأما الشرع فهو في نفسه قول الصادق ، وهذه صفة لازمة له لا تختلف باختلاف أحوال الناس ، والعلم بذلك ممكن ورد الناس إليه ممكن " . [٢]

٦- كما أن للبراجماتية اهتمام بمشكلات الإنسان في عالم يتغير باستمرار ، واعتبارات الأفكار أدوات لحل المشكلات الإنسانية ، [٣] ويقول وليام جميس : " العلامة الدالة على وجود العقل في أي ظاهرة سلوكية ، هي أن نلحظ فيها استهدافاً لغايات مستقبلية، واختيـاراً للوسائل المؤدية إلى بلوغ تلك الغـايات ". [٤]

نلحظ هنا أن البراجماتية : افترضت أن الإنسان نتاج للخبرة والتجربة ، لأنها تركز على الجانب العملي في حياة الإنسان، فنظرتها له نظرة مادية خالصة ، فركزوا على الجانب المادي وحده، وأغفلوا حقيقة الروح، وارتباطها بالنشاطالإنساني ، بل لم تفرق البراجماتية بين الروح والجسد واعتبرتها شيئاً واحداً، ممتزجان معاً في وحدة متكاملة ومتناسقة، وتتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الإنسان وشخصيته. [٥]

وللإنسان الحرية كاملة في الفلسفة البراجماتية ، يختار ويحدد قيمة وسلوكه ومعرفته قياساً على نفعها له ، تتفاوت فيما بينهما بحجم ومقدار المنفعة للفرد أو المجتمع ، ويبين ذلك جميس بقوله : " أن المفاهيم والأنواع أدوات غائية، تخدم مصلحـــة الذات التي كُونت وتحددت من خلال فهم الـذات للعالم ". [٦]

فيكون الإنسان له الحرية المطلقة ، بلا حدود وقيود أو ضوابط لتصرفاته أو شهواته، فهو يطلقها ما دامت تحقق فائدة فردية ، أو حتى مجتمعية ، شأنه شأن الحيوان الذي يتحدد سلوكه وفق أسلوب الثواب والعقاب ، فيختار ما هو لاذ وينأى عن الألم. [٧]

ولهذه الحرية حقيقة آثار سلبية كثيرة منها :

١- فساد الطبيعة الإنسانية والانحراف عن الفطرة السليمة .

٢- تنفرط الحياة في الكون والعلاقات البشرية ، لأنه لا يسير وفق ضوابط وقوانين ، يلزم بها الجميع، فتتفاوت القيم في الحياة الإنسانية تبعاً لحرية ورغبة الأفراد .

٣- تُسَوغ هذه الحـــرية البراجماتية كل الوسائل -وإن كانت محرمة وضارة - بما أنها تحقق المنفعة واللذة للإنسـان، فإذا كانت الميكافيلية[٨] القديمة تقـــول " الغاية تبرر الوسيلة " مع اعترافها بحرمة الوسيلة الضارة، وإقرارها بأنها إنما أخذتها للحاجة وللوصول إلى الغاية ، فالبراجماتية جعلت تلك الوسيلة الضارة والمحرمة مباحة ومشروعة ، وينبغي أن نتخلص من عقدة الذنب ، بل تدعو إلى المفاخرة بسلوك تلك

---

(1)درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، ١٦٤/١

(2)درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، ١٦٤/١

(3) انظر : الفلسفة وتطبيقاتها التربوية ، نعيم جعتيني ، الجامعة الأردنية ، كلية العلوم التربوية ، ص ١٩٤

(4) وليام جيمس ، ص ٦٦ .

(5)مقدمة في فلسفة التربية ، حسن عبدالعال ، ص ٣١ .

(6) إرادة الاعتقاد ، وليم جيمس ، ترجمة : د محمود حب الله . دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ص ٥٦ .

(7) انظر العقل الأمريكي ، شوقي جلال ، ص ١٣٢

(8) نظرية ميكافيللي : أول من دعا إلى استبعاد الدين وعزله عن الحياة ، له نظرية وتقوم على ثلاثة أسس هي " الإنسان شرير بطبعة وإن رغبته في الخير مصطنعة ن والفصل التام بين السياسة وبين الدين والآخلاق ، والغاية تبرر الوسيلة " انظر : العلمانية د/ سفر الحوالي، ص ٢٢٦ .

الوسيلة التي حققت المنفعة.[1]وفي هذا قتل للنزعة الإنسانية ، حيث تقتل مروءته، وكرامته، وإنسانيته حتى يفقد استحقـاقه بوصفـه (إنسان) .

البراجماتية جعلت من الإنسان آله بلا مشاعر أو خواطر أو إحساس، لأنها وسعت دائرة المعرفة الفردية ، حتى خرجت بالإنسان إلى الأثرة المرذولة ، وساهمت في تفكيك المجتمع ، وتشتت طاقاته .

أبرز وأظهر الأفكار المتصلة بنظرة الفلسفة البراجماتية المرتبطة بالإنسان ، هي نظرتها للمعرفة والقيم ، لأن مصدرهما هو : الخبرة والنشاط والتجربة ، فتنكر وجود حقائق موضوعية ، وقيم مطلقة ، وتؤكد أن الحقيقة هي اكتشاف اختراع شئ جديد، وليس اكتشاف شئ موجود، ومقياسها يقوم على مدى نفعها في دنيا العمل[2] وفي هذا :

١- إلغاء وتجاهل تام لكل القيم الأخلاقية التي هي من فطرة الإنسان والبشرية" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .[3]

٢- فيه إنكار ونسف لكل القيم والمبادئ التي أقرها الشرع ، والقيم التي أمر بها ، حتى وإن لم ندرك الحكمة منها **{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}** [4] فتحديد الخير يكون من الشرع وليس من الإنسان ، مثل تحريم الخمر والأمر بالقتال والجهاد ، وتحريم الربا وغيرها كثير .

٣- ثم إن إقامة المجتمعات على موازين الكسب والخسارة وحدهما ، كفيل بهدم تلك المجتمعات ، إذ كيف يقوم مجتمع من المجتمعات ، وينهض إذا كان العلاقة التي تقوم بين أفراده لا تقوم إلا على أساس المصلحة والكسب المادي ، فكم من علاقات أخرى تقوم على الإيثار والتضحية وحب الخير لذاته ، وهي التي تكفل تحقيق السعادة للمجتمع ، إن التعاطف والتعاون هما الرائدان في حركة المجتمع الإنساني ، وإلا تحول إلى غابة من الغابات التي يأكل فيها القوي الضعيف .[5]

٤- كما أن هذه النظرة المادية لا تقبلها العقيدة الإسلامية ، لأنها أغلقت جانب الروح في الإنسان ، وغلبت جانب المادة، وجعلت الإنسان الذي أكرمه الله على سائر المخلوقات كالحيوان، قال تعالى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مَن الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ منْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}** [6]

قال القرطبي _ رحمه الله _" إن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف به ، وبه يعرف الله ويفهم كلامه ، ويوصل إلى نعيمه ، وتصديق رسله ، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل ، وانزلت الكتب ، فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء ".[7]

وهو مخلوق من مادتين هما الروح والجسد قال تعالى:**{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}** [8]

---

(1)انظر : البراجماتية ، مراد احمد القدسي ، منبر علماء اليمن

(2)انظر : مذهب المنفعة العامة في فلسفة الاخلاق _ توفيق الطويل ، ٢٦١

(3))البخاري في الأدب ٢٧٣

(4)سورة البقرة ٢٦١

(5)انظر البراجماتية ، عرض ونقد ، د/ منصور الحجيلي ، ٣١٧

(6)الجامع لأحكام القرآن للقطرطبي ٤٣/٦

(7)ص ٧١ / ٧٢ .

(8)سورة التوبة ١٠٥

إضافة إلى إنسانيته فهو مكلف له حقوق وعليه واجبات ، مقرونة بالثواب والعقاب ، ومصيره في الآخرة ، فالثواب في الآخرة موقوف على إحسان القيام بواجباته في الدنيا قال تعالى : **{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ}** [1]

فاهتم الإسلام بهذه الفطرة، لأنها مؤمنة والإيمان حاجة لا يملك الإنسان الاستغناء عنها قالﷺ:" **ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ،كما تنتج البهمية جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**" [2] ثم يقول أبو هريرة : وأقرءوا إن شئتم: **{فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}** فيكون الانحراف مكتسب، وإلا الأصل في الإنسان الخير ، إلا أن لديه الاستعداد والحرية لسلوك أحد الطرفين إما الخير أو الشر قال تعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَاسَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}** [3]**{كُلُّ نَفْسٍ بِمَاكَسَبَتْ رَهِينَةٌ}** [4]

٥- وفي العقيدة الإسلامية الأخلاق مقرونة بالإيمان ،فهو الخلق فمن زاد عليك في الإيمان زاد عليك في الخلق ورد عن رسول الله ﷺأنه قال " **بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويسمى كافراً أو يسمى مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا** ".[5] فالمسلم عندما يمارس الأخلاق الفاضلة ، ويجتنب الأخلاق السيئة ، يعتقد ويؤمن أن الله أمره بذلك ، فيمارسها على أنها جزء من إيمانه بالله ، أو أنها من لوازم إيمانه بالله، وأن الله فرض عليه ذلك وألزمه به .

قالﷺ:"**الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان**" [6] فأساس السعادة العمل، وأساس العمل صحة العقيدة، وما من إنسان على وجه الأرض إلا ويبحث عن سلامته وسعادته بحكم فطرته ، وسلامته وسعادته بطاعة ربه والتقرب منه، وأساس هذه السعادة الاستقامة ، والعمل الصالح ، ولن تستقيم ولن تعمل صالحا إلا إذا عرفت الله، وعرفت ما عنده من عطاء كبير ، وما ينتظر الذي يعصيه من عذاب أليم ، لا بد من إدراك هذه الحقيقة فإن بحثت عنها فأنت من بين البشر ، وإن ألغيتها هبطت عن مستوى بني البشر ما من جهة في الكون معها الحقيقة المطلقة إلا الله قال تعالى :**{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ}** [7]

٦- إنه من الصعب إقناع النفوس بأعمال الخير ، التي لا تقوم على الكسب والمنفعة المادية، إلا بناءً على عقيدة إيمانية راسخة ، تسعى للخير وفضائل الأخلاق ، ابتغاء مثوبة الله تعالى وجنته، وكم في الإسلام من أعمال خيرة يحض عليها ، ويحث على فعلها لتحقيق أفضل حياة إنسانية ممكنة على ظهر هذه الأرض مع عدم وجود المنفعة الظاهرة، حسب مفهوم البراجماتية قالﷺ. " **ما نقصت صدقة من مال بل تزده** " [8]وقال أيضاً" **على كل مسلم صدقة قال : أرأيت إن لم يجد قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال :**

---

(1)صحيح البخاري كتاب الجنائز ، حديث رقم (١٢٩٢) ، صحيح مسلم كتاب القدر ، حديث رم (٢٦٥٨)
(2)سورة الروم ٣٠
(3)الشمس ٧ / ٨
(4)المدثر ٣٨ .
(5)صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (١٦٩) .
(6)صحيح مسلم ، كتاب الإيمان رقم (١٨٥)
(7)سورة الجاثية ٦
(8)رواه مسلم

أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير قال : أريت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فإنها صدقة. [1]

٧-القيم البراجماتية نسبية ، لأنها تقاس إلى رغبات البشر، فتتغير القيم تباعاً لرغباته، واستجابة للتغيرات في الأحوال التاريخية، أو الديانات الجديدة ، ومكتشفات العلم الحديث وتطور التقنية الحديثة ويقول ديوي " إن من أبرز الأفكار المتصلة بنظرة الإنسان في تتابع الخبرات وقدرته على استخلاص نتائج التفاعلات المختلفة من هذه الخبرة ". [2]

ويشير جميس إلى هذه النسبية بقوله " فالحقيقي ليس سوى المطلوب النافع في سبيل تفكيرنا تماماً مثلما أن الصحيح ليس سوى المطلوب النافع الموافق في سبيل سلوكنا ". [3] وهذا مناقض للعقيدة وللفطرة من جوانب :

١- إن الفرد لا يصلح أن يكون معياراً لقبول القيم أو ردها ، ذاك أن الإنسان عاجز عند إدراك ما ينفعه حالاً ما ينفعه حالاً ومالاً، فالخير هو ما يحدده الشرع ذلك أن الله تعالى هو العليم الحكيم

٢- **{أَلَايَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [4] والمسلم يمارس الأخلاق على أن الرسول الكريم ﷺحث عليها ، وبلغها عن ربه فهو لاعتقاده بنبوة النبي وأنه مبلغ عن ربه ومما بلغه وبينه الأخلاق.

كما جعل الدليل على صحة العقيدة للإنسان حسن الخلق ، وسوء الخلق ، دليل على فساد العقيدة، قال تعالى :**{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَايَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}** [5] فمن أخص صفات المكذبين بيوم الدين الذين فسدت عقائدهم ، وخاصة من يرجون من ورائه نفعاً دنوياً عاجلاً اليتامى والمساكين .

٣- أن المنفعة للإنسان تنحصر في شهوات الجسد والنفس فقط بغض النظر عن بقية المجتمع ، وهذا معيار ينافي العدالة الإلهية والإنسانية تماماً قال تعالى: **{لِيَقُومَالنَّاسُبِالْقِسْطِ}** [6] والإنسانية لأن القلب والعقل بفطرته يدرك الحس القبيح ، وبمسؤوليته الخلقية يتحملها قال ابن حزم _رحمه الله _" ليس بين الفضائل والرذائل ، ولا بين الطاعات والمعاصي إلا نفار النفس وأنسها فقط " [7] كما أن البراجماتية النفعية لا تنظر للباعث على الخلق أو العمل ، ولا يهمها النيات أو المقاصد ، بل تولي عنايتها للنتائج والفائدة من وراء العمل ، وتجعل من اللذة الغاية القصوى للإنسان ولهذا : هو لا يصلح أن يكون " مذهباً أخلاقياً " ولا تصلح اللذة أن تكون غاية أخلاقية للسلوك الإنساني [8]، لأن هذه الغاية تخرج الإنسان عن إنسانيته بعكس منهج الإسلام الذي اهتم للقصد والنتيجة معاً قالﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات)**[9]

٤- نتيجة لسيطرة المنفعة الذاتية فالإنسان يفقد مؤهل الترجيح والموازنة بين ما هو نافع أو ضار من القيم والأخلاق، فروح" الأنا " تكون طاغية على اختياراته مع النفع الآني

---

(1)رواه مسلم
(2))دراسة ناقدة للفلسفة البراجماتية ، محمد شبير ، ص ٥٥ .
(3)الراجماتية وليم جيمس ، ص٩٠
(4)سورة الملك ١٤
(5) سورة الماعون ١/ ٢/ ٣ .
(6)سورة الحديد ٢٥
(7)الاختلاف والسير في مداوة النفوس ، ابن حزم ، ص١٥
(8)أنظر : مقدمة في علم الأخلاق ، د/ محمد زقزوق ، ص ٨٢.
(9)صحيح البخاري ، باب بدء الوحي ، حديث رقم (٥٤) ، سنن أبي داود ، باب فيما عني به الطلاق رقم (٢٢٠١) .

اللحظي، وهذا يناقض المسؤولية الخلقية للفرد وهي: " تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته، واختياراته العملية من الناحية الإيجابية ، والسلبية أمام الله بالدرجة الأولى، فالأخلاق تشمل جميع أعمال الإنسان الخاصة بنفسه ، والمتعلقة بغيره، وهذا ما هو موجود بالإسلام بشمولية معاني الأخلاق الإسلامية، مما لا نجد له نظير في أي تشريع من الشرائع الإسلامية ، ولا نلمسه في أي شريعة أخرى وضعية، فالأخلاق الإسلامية شاملة، نرى إن كل ما هو قبيح في علاقات الأشخاص، قبيح في علاقات المجتمع ، وكل ما كان مطلوباً وجميلاً بين الأفراد، يكون مطلوباً وجميلاً للمجتمع، وهذا نص القرآن الكريم والسنة المطهرة عليه فمثلاً على الدولة الإسلامية يجب عليها الالتزام الكامل بالأخلاق الإسلامية الشاملة لجميع طبقات المجتمع، فترى في القرآن قوله تعالى: { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)} [١]

٥- سيطرة مبدأ النفعية في البراجماتية يجعل منها تنكر القيم ، لأن ما هو نافع اليوم قد لا يكون غداً ذا نفع أو جدوى ، فتتغير هذه القيم بناءً على المصالح ، فما كان اليوم له قيمة، قد يصبح غداً لا قيمة له، وهكذا لا يكون هناك أي ثبات لقيمة من القيم ، أما في الإسلام فالصدق فضيلة في كل زمان، والكذب رذيلة في كل مكان ، ذلك أن معيار الأخلاق عند المسلمين الشرع المطهر، ومعروف من بديهيات الإسلام فساد هذه الأفكار [٢] فالفضائل ثابتة والأخلاق والقيم قال تعالى{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) [٣]} وقال {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [٤]

وتحقق التوحيد، وتكميل الإيمان ليس باجتناب الشرك الأكبر فحسب، بل باجتناب كل ما ينافي العقيدة، وكل ما يخل أو يقدح في كمال التوحيد، ومن ذلك الأخلاق ، لأنه إذا تمكن الشرع من نفس الفرد يصبح معياره الأول الذي يحاكم إليه معارفه وأفكاره، وأخلاقه فما وافقه قبل به، وما خالفه تركه وابتعد عنه، وكذلك المجتمع إذا التزم بشرع الله قبل به حاكماً عليه ، فسيصبح هو المعيار الذي يقاس به حقوق الأفراد في داخله ، فتحفظ حقوقهم وكرامتهم التي حفظها الله لهم .

وهذا ما تمتاز به المنفعة في العقيدة الإسلامية أنها ترتكز على الإيمان بالله ﷻ، لأنه بالإيمان استحق الإنسان أن يكون خليفة الله في الأرض {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [٥] ولو فكر الإنسان فيما حوله من مخلوقات الله لتبين له أن الله ﷻ سخر له ذلك لمنفعتــه وهذا تحقيقاً لقوله {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [٦] يقول الطبري _رحمه الله_ : " خلق الأرض بما فيها لأجلكم وانتفاعكم " [٧]بشرط أن تعملوا بها وفق منهج وشرع الله ﷻ، لأن منفعتها ممتدة للآخرة وليست قاصرة على الدنيا فقط قال تعالى : {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)}.[٨]

---

(1)الأنفال ٥٨
(2)انظر دراسة ناقدة للفلسفة البراجماتية ، محمد شبير ،ص ٦٦
(3)سورة الحجر آية ٩ .
(4) سورة المائدة آية ٣ .
(5)سورة البقرة آية٣٠.
(6)سورة البقرة آية ٢٩ .
(7)جامع البيان الطبري ٢٠٢/١
(8)المائدة آية ١١٩ .

فهرس المراجع

١)إرادة الاعتقاد ، وليم جيمس ، ترجمة / محمود حسب الله ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
٢)أصول التربية الثقافية والفلسفة ، محمد منير مرسي ، عالم الكتب ، القاهرة .
٣)الاعتصام ، الشاطبي ، مكتبة المعارف ، بيروت .
٤)اعتقاد أهل السنة اللالكائي ، مكتبة الرشد ، الرياض .
٥)أفكار وشخصية وليم جيمس، بيري، رالف بارتون، ترجمة : محمد العريان . دار النهضة العربية ، بيروت .
٦)البراجماتية ، توفيق الطويل ، دار المعارف ، القاهرة .
٧)البراجماتية ، مراد بن أحمد القدسي ، منبر علماء اليمن .
٨)البراجماتية ، وليم جميس ، ترجمة / محمد علي العريان ، تركي نجيب .
٩)البراجماتية عرض ونقد ، د/ منصور الحجيلي ، بحث منشور .
١٠) تاريخ الفلسفة الأمريكية ، شنايدر هربرت ، ترجمة محمد فتحي ، القاهرة .
١١)جون ديوي ، أحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف ، القاهرة .
١٢)درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، مكتبة الهدى ، الرياض .
١٣)دراسة ناقدة للفلسفة البراجماتية في ضوء المعايير الإسلامية ، محمد خضر شبير.
١٤)دستور الأخلاق في الإسلام ، د/ عبدالله دراز ، دار المعارف بيروت .
١٥)السلفية وقضايا العصر ، د/ عبدالرحمن الزبيري ، الرياض .
١٦)شرح لمعة الاعتقاد ن ابن قدامه المقدسي ، شرح الدكتور ناصر العقل .
١٧) العقل الأمريكي ، شوقي جلال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٨)العقل الأمريكي ، شوقي جلال ، مصر .
١٩)فتح القدير . الشوكاني ، مطابع دار الوطن .
٢٠)الفردية في الفلسفة البراجماتية ، نايف مطر ، رسالة ماجستير .
٢١)الفلسفة ، الفكر ، الحرية ، رواية عبدالمنعم عباس ، دار المعرفة العلمية ، القاهرة
٢٢) الفلسفة البراجماتية ، علي عبدالهادي الهرج ، دار المعارف ، القاهرة .
٢٣)فلسفة التقدم ، حسن الكحلاوي .
٢٤)الفلسفة التقدمية ، حسن محمد كحلان ، مكتبة المدبولي ، القاهرة .
٢٥)قصة الفلسفة ، ويل ذيورانت ، مكتبة المعارف ، بيروت .
٢٦) مدخل الدراسة الفلسفة المعاصرة ، محمد مهران ، دار الثقافة للنشر ، مصر .
٢٧)مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة ، محمد مهران رضوان .
٢٨)مذهب المنفعة العامة في فلسفة الاختلاف ، توفيق الطويل ، دار المعارف ، القاهرة .
٢٩)مذهب المنفعة في فلسفة الأخلاق ، توفق الطويل ، مكتبة النهضة المصرية .
٣٠) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
٣١) المعجم الفلسفي ، عبدالمنعم حنفي ، الدار الشرقية ، مصر .
٣٢) المعجم الفلسفي ، مجمع اللغات العربية ، العربية القاهرة الهيئة العامة لشوؤن المطابع.
٣٣)المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية المعاصرة في أوروبا ، أ: بوشنكسي .
٣٤)مقدمة في فلسفة التربية ، حسن عبدالعال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
٣٥)من زاوية فلسفية ، زكي نجيب محمود .
٣٦)الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .
٣٧)نظرية القيمة في الفكر المعاصر ، صلاح فتصرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع .
٣٨)نظرية تاريخ الفلسفة ، يوسف كرم ، دار المعارف ، القاهرة .
٣٩) الولايات المتحدة أرضاً وشعباً ودولة ، محمد عبدالمنعم الشرقاوي ، دار النهضة المصرية ، ألقاهرة ، ط١ .
٤٠)وليم جيمس ، محمد فتحي الشنقبطي ، مكتب القاهرة الحديثة ، القاهرة .
٤١)وليم جيمس ، محمود فهمي زيدان ، دار الوفاء للطباعة للنشر الإسكندرية .